نظام التعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد

محتوى النقد العربي القديم

د / زهير أحمد المنصور

المحاضرة الأولى

النقد في العصر الجاهلي :

- تعريف كلمة النقد :
- النقد في العصر الجاهلي :
- المظاهر النقدية في العصر الجاهلي :

تعريف كلمة النقد لغة :

هي مأخوذة من الفعل الثلاثي "نقد" فنقد الصيرفي الدراهم والدنانير ، وانتقدها ، أي : ميز صحيحها من زائفها ، وجيّدها من رديئها .

أمّا في الاصطلاح : فهو الحكم على النص الأدبي ، وبيان جيّده من رديئه ،وفق أصول خاصّة ، ثم إصدار الحكم على هذا النصّ وتعليله .

تأثّر النقد العربي كغيره من الثقافات بثقافات الأمم الأخرى ، كاليونانية والهندية والفارسية ، كان للثقافة اليونانية حضورها الفاعل في التأثير في الثقافة النقدية ، وذلك من خلال كتابي : أرسطو "في الشعر " و "في الخطابة " حيث تمّت ترجمتهما في القرن الثاني الهجري مما أتاح للعرب الإطلاع على هذه الترجمات ، وقد ظهر ذلك جليّا في المؤلفات النقدية في القرنين : الثالث والرابع ،أمّا الثقافة الهندية ، فقد أخذوا منها الصحيفة الهندية المترجمة ، التي اشتملت على كثير من القضايا النقدية التي استفاد منها النقد العربي .

النقد في العصر الجاهلي :

كان النقد في العصر الجاهلي انطباعيا ، وذوقيا وفطريا ، يتّخذ من الذوق أساسا للحكم على الشعر ، فاعتمدوا على البيت المفرد واتّخذوا منه ميزانا نقديا في هذا العصر ، ولكن بعض المظاهر النقدية قد ظهرت عندهم والتي تنبئ عن حسّ نقديّ لديهم ، منها :

١- **الأسواق الأدبية ،** مثل :سوق عكاظ الذي كان يجتمع فيه الشعراء يتطارحون الشعر ويحكمون على أفضل الشعراء ، فكانت تضرب فيه للنابغة قبّة حمراء ، فتأتيه الشعراء تعرض عليه أشعارهم ، ويبدي عليها حكما نقديّا كما هو الحال في إعجابه بشعر الخنساء .

٢- **المجالس الأدبية ،** حيث **كان** يجتمع فيها الشعراء ، ويسمعون الشعر ، فعابوا على النابغة الإقواء في شعره " الذي يعني اختلاف حركة الروي " كما في قوله :

أمن آل ميّة رائح أو مغتدي عجلان ذا زاد وغير مزوّدِ

زعم البوارح أن رحلتنا غدا وبذاك حدّثنا الغرابُ الأسودُ

فظهر الإقواء في كلمة " الأسود" حيث جاءت بالضم بينما القافية مكسورة .

٣- **الألقاب الشعرية ،** التي أطلقوها على بعض الشعراء مدحا وتعظيما لهم ، مثل : الكيّس ، لقب على الشاعر " النمر بن تولب" كما أطلقوا ألقابا على بعض القصائد **كالمعلقات ،** كما حكموا على بعض القصائد بأنّها بالغة المنزلة في الجودة ، كما في قول سُوَيد بن أبي كاهل :

بسطت رابعةُ الحبلَ لنا فوصلنا الحبل منها ما اتّسع

فقال الأصمعي : إنّ العرب كانت تفضلها ، وأطلقوا عليها لقب " اليتيمة "

٤- تناولوا في نقدهم اللفظ أو الصياغة ، وذلك ما يروى عن طرفة عندما سمع المسيّب يقول :

وقد أتناسى الهمَّ عند احتضاره بناج عليه الصيعرية مُكْدَمِ فقال له طرفة : استنوق الجمل ؛ لأن " الصيعرية" صفة للناقة ، وليس للجمل .

٥- الغلو والمبالغة : تطرق النقد في العصر الجاهلي إلى الغلو والمبالغة ، وعدّوها من عيوب الشعر ، فعابوا على المهلل بن ربيعة الغلو في القول ، والإدعاء ، كما عابوا على زهير قوله :

ولأنت أشجع من أسامة دُعِيت نزال ولجّ في الذعر

فقالوا : كيف جعلته أشجع من الأسد ، وأنت لا تكذب في شعرك؟

٦-مكانة قريش الأدبية : حيث كانت العرب تعرض عليها شعرها فما كان مقبولا أجازوه ، وما كان رديئا ردّوه ، يظهر ذلك في قول علمة عندما قدم عليهم وقال :هل ما علمت وما استودعت مكتوم ، فقالوا : هذه سمط الدهر، ثمّ عاد إليهم في العام المقبل ، فأنشدهم :

طحا بك قلبٌ في الحسانِ طَرُوبُ بُعَيد الشباب عصرٌ حان مشيبُ

فقالوا : هذان سمطان الدهر.

المحاضرة الثانية

النقد في العصر الإسلامي :

لم يختلف النقد في العصر الإسلامي عنه في العصر الجاهلي ، فبقي النقد انطباعيّا يعتمد على الذوق والفطرة ، ولم تتسع حركة النقد في هذا العصر لانشغال المسلمين في الدعوة الإسلامية ، والفتوحات وحربا : فارس والروم ، كما أن الدين الإسلامي الجديد وضع قواعد ينبغي على المسلم أن يلتزم بها ، ووجه الشعر توجيها جديدا يتّفق وطبيعة الدعوة الإسلامية ، فكان الأساس النقدي عندهم للحكم على الشعر هو: ما وافق الحقّ ، وما خالفه ، فهو مرفوض ، وكان هذا المبدأ هو ما سار عليه الرسول "ص" وصحابته الكرام ؛ لذلك كان الرسول "ص" يشجّع حسّان على قول الشعر والرد والرد على المشركين ،فيقول له : اهجهم ، فإنّ لك لسانا أشد عليهم من وقع السياط في غبش الظلام" وكان الرسول "ص" يشجع على قول الشعر الذي يوافق الحق ، ويدرك تأثيره ، فيقول : إنّ من البيان لسحرا ، ومن الشعر لحكمة " كما كان " ص" يُبدي إعجابه ببعض الأبيات الشعرية التي يسمعها ، فيدعوهم إلى سماع الشعر الجيد ، فقد أعجبه بشعر كعب بن زهير في قصيدته حيث يقول :

إنّ الرسولَ لنورٌ يُستَضاءُ به مُهَنّدٌ من سيوفِ اللهِ مسلولُ

فأعجب بشعره ، وعفا عنه وخلع عليه بردته ، وحثّ على سماع شعره ، كما نراه يُبدي رأيه في بعض شعراء الجاهلية ، فيقول امرئ القيس :إنّه أشعر الشعراء وقائدهم إلى النار .

أمّا الخلفاء الراشدون :فلم يكن لهم دور واضح في توجيه حركة النقد الأدبي لجسامة المسؤوليات الملقاة على عاتقهم ، ولكنهم ساروا على نهج الرسول في أنّ الشعر الجيد هو ما وافق الحق ، والشعر الرديء هو ما خالف الحق . إلا أنّ الخليفة عمر بن الخطّاب كان له دور واضح في توجيه النقد ، وذلك للأسباب التالية :

أ- ثقافته الأدبية التي أهّلته لأنْ يتبوأ مكانة عالية في النقد ، فكان – كما يقول عنه ابن رشيق القيرواني – من أنقد أهل زمانه للشعر ، وأنفذهم فيه معرفة .

ب- معرفته بالحياة العربية معرفة دقيقة شاملة .

ج- تشبّعه بروح الإسلام وشعوره بمسؤولية الحاكم ، لذلك كانت له مساهمات واضحة منها :

١- يرى أن الشعر الخالد هو ما يصدر عن عاطفة صادقة ، ويخدم الحق ، ولذلك أبدى إعجابه بشعر زهير ؛ لأنّه كان لا يمدح الرجل إلا بما فيه ، ولا يعاظل في القول .

٢- كان يتذوق الشعر ، ويصدر الأحكام على بعض الشعراء ، ففضل النابغة ، وقال عنه إنّه أشعر شعراء غطفان

٣- كان يعجب بالشعر الذي يحتوي على قيم أخلاقية ، وأدبية ، فنراه يحارب شعر الهجاء ، وينهى عنه ، لأنّ فيه عودة إلى الروح الجاهلية ، ومثال ذلك ما رواه ابن سلاّم أنّ" سحيما" أنشده:

عُميرة ودّع إن تجهّزت غازيا كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

فقال عمر: لو قلت شعرك كله مثل هذا لأعطيتك عليه .

٤- كان يمثّل من نفسه رقيبا على شعر المدح ويوجهه وجهة إسلامية ، كما كانت رقابته على شعر الهجاء أشدّ وأقسى ، ومثال ذلك عندما أتاه الزبرقان بن بدر بالحطيئة ، وقال إنّه هجاني بقوله :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنّك أنت الطاعم الكاسي

فقال : ما أسمع هجاء ، ولكنها معاتبة ، فكره أن يتعرض لشأنه ، فعرض الأمر على حسان بن ثابت ، فقال : لم يهجه ، ولكنه سلح عليه . **أمّا أبو بكر الصدّيق** ،فذُكِرَ عنه أنّه كان يقدّم النابغة لأنه أحسنهم شعرا ، وأعذبهم بحرا ، وأبعدهم قعرا .

أما عثمان بن عفّان ، فكان يُعجب بشعر زهير ، ويمتدح شعره بالصدق في قوله :

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تُعلَم

أما علي بن أبي طالب ،فقد روي عنه بعض الأقوال عن تفضيله لبعض الشعراء ، وبيان رأيه فيهم ، فيقول عن امرئ القيس : إنّي رأيته أحسنهم نادرة ، وأسبقهم بادرة ، ولم يقل لرغبة ، ولا رهبة .

المحاضرة الثالثة

النقد في العصر الأموي :

اتّسعت رقعة الملاحظات النقدية في هذا العصر عمّا كانت عليه في العصور السابقة ، وذلك بسبب الفتوحات الإسلامية والاختلاط بالأجناس غير العربية ، وظهور حركة الترجمة ، وظهور الحواضر الأدبية ، كما كان لتشجيع الخلفاء للحركة النقدية دور بارز في تطوّرها

البيئات النقدية :

بيئة الحجاز: هذه البيئة التي عرفت بتحضّرها ونشوء الغناء ، ودور الطرب الذي أدّى إلى نشوء تيّار الغزل الإباحي الذي تزعّمه عمر بن أبي ربيعة ، حيث قلب موازين الغزل العربي ، فكان معشوقا لا عاشقا ، مطلوبا لا طالبا ، تبحث عنه النسوة ، وتتعقّب أخباره ، ومن مظاهر النقد في هذه البيئة : **نقد الشعراء بعضهم بعضا**،فقد انشغل النقاد بشخصية عمر بن أبي ربيعة ، فيقول عنه الفرزدق : هذا الذي الذي كانت تطلبه الشعراء فأخطأته ، وقال عنه نصيب : أوصفنا لربات الحجال .

ظهور أسماء نقاد،حيث كان لهم دور في توجيه حركة النقد الأدبي كابن أبي عتيق ، وسكينة بنت الحسين ، فوجّهوا ملاحظاتهم لتصويب الشعر ، فيروى أن ابن أبي عتيق سمع قول عمر :

من رسولي إلى الثريا فإني ضقت ذرعا بهجرها والكتاب

فيأتي ابن أبي عتيق من المدينة إلى مكّة ، ويأخذ عمر إلى الطائف ، فيصلح ما بينه وبين الثريا ، كما وقف النقاد عند غموض المعنى ، فوقف عند بيت بن قيس الرّقيات :

تفدّت بي الشهباء نحو ابن جعفر سواءٌ عليها ليلُها ونهارُها

فعندما مرّ به وسلّم عليه ، قال له : عليكم السلام يا فارس العمياء ، فقال : ما هذا الاسم الحادث ، فقال له : أنت سمّيت به نفسك ؛ لأنّ الليل والنهار لا يستويان إلا على عمياء .

المفاضلات بين الشعراء:إذ كانت على شكل موازنات بينهم ، في قضايا نقدية ، كالصدق الشعري ، أو المفاضلة بين الشعراء ، ومثال ذلك أن عمر كان يعارض جميلا ، فإذا قال قصيدة ، قال مثلها ، فيقال إنّه في الرائية والعينية أشعر من جميل ، وأن جميلا أشعر منه في اللامية ، يقول عمر بن أبي ربيعة :

أمن آل نعمٍ أنت غادٍ فمُبكِر غداة غدٍ أم رائحٌ فمُهَجّر

أمّا لامية جميل فمطلعها :

لقد فرح الواشون أن صرمت حبلي بثينةُ أو أبدت لنا جانب البخل

كما ظهرت بعض المظاهر النقدية ، كظهور الأحكام المعللة للحكم على الشعراء ، والمفاضلة بينهم ، ففضلوا شعر عمر لدقة معانيه ، وسهولة مخرجه

النقد في العراق:تختلف بيئة العراق باختلاف مكوّناتها السياسية ، فهي مركز للمعارضة السياسية للأمويين في الشام ، ومركز للأحزاب الدينية والفرق الإسلامية كالشيعة والخوارج ، كما ظهرت فيها الحواضر الأدبية ، كالبصرة والكوفة وبغداد ، لذلك ظهرت مسارات جديدة للنقد الأدبي منها :

١- الشعر السياسي ،وذلك نتيجة العصبيات القبلية ، فظهر شعر النقائض بين جرير والفرزدق والأخطل ، حيث قامت الساحة الأدبية على التفضيل بين هؤلاء الثلاثة ، فالفرزدق يتميز بألفاظ فخمة ، وجرير من الشعراء المطبوعين .

٢- ظهر ما يسمّى بالنقد النحويّ ، وهو نقد موضوعي يخلو من التعصب ، ومن هؤلاء النقاد :عنبسة الفيل ، وعبدا لله بن أبي إسحاق الحضرمي ، وأبو عمرو بن العلاء ، ومن ملاحظاتهم أن عمرو بن العلاء سمع الفرزدق ينشد :

وعضّ زمان يا ابن مروان لم يدع من المال إلا مسحتا أومجلف

فقال له علامَ رفعت "مجلف" فقال : على ما يسوؤك وينوؤك .

٣- **ظهور الرواة** ، فكان لهم دور في توجيه حركة النقد ، فمنهم الثقات ، كالمفضل الضبي ، وأبو عمرو بن العلاء ، ومنهم غير الثقات ، كحماد الراوية .

٤- **نقد الشعراء بعضهم بعضا** ، وخصوصا الشعراء الفحول : جرير والفرزدق والأخطل ، يقول الفرزدق : إنني وإياه " جرير" لنغترفن من بحر واحد ، وتضطرب دلاؤه عند طول النهر " أمّا الأخطل ، فيقول عن الفرزدق بأنّه أمدح العرب ، وجرير يقول أشعر الجاهليين زهير ، وابن العشرين (طرفة بن العبد) وامرؤ القيس الذي انتعل الشعر ومشى به حيث أراد ، يتحكّم في

الشعر ، ولا يتحكم الشعر فيه ، ويقول عن الفرزدق بأنّه نبعة الشعراء أو شجرته السامقة ، ويقول عن ذي الرمة بأنه كان يجمع بين رقة الشعر الحضري ، وجزالة الشعر البدوي ، وأمّا عن رأيه في شعره ، فيقول إنه بحر الشعر بحرا .

٥- **المفاضلة في المعاني الجزئية** :ومن ذلك عندما سأل معاوية بن أبي عمرو بن العلاء محمد بن سلاّم أي البيتين عندك أجود ؟

قول جرير:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

أم قول الأخطل :

شمس العداوة حتى يستقاد لهم وأعظم الناس أحلاما إذا قدروا

فقال ابن سلام أحلى وأسير ، وبيت الأخطل أجزل ، وأرزن ، فقال معاوية : صدقت .

النقد في الشام : لم تتسع دائرة الملاحظات النقدية في الشام فانشغلوا بمدح الخلفاء ، لذلك كان شعر المدح هو الشعر السائد الذي انصبّ على شخصيّات خلفاء بني أميّة ، الذين كان لهم دور بارز في توجيه النقد وتنشيط حركته ، فكانت لهم مجالس يفد عليهم الشعراء والنقاد يتطارحون الشعر ، ويبدون عليه رأيهم ، فكان لخلفاء بني أمية دراية بالشعر ، وقدرة على تذوّقه وإصدار الأحكام عليه ، ومن **هؤلاء عبد الملك بن مروان** ، حيث كان يطرح أسئلة على جلسائه ، ويطلب إليهم أن ينشدوه في موضوع معين ليختبر علمهم بالشعر إلى علمه ، وذوقهم إلى ذوقه ، فاجتمع عنده الفرزدق ، وجرير والأخطل ، ومعه كيس فيه خمسمائة دينار ، ثمّ قال : ليقل كلّ منكم بيتا في مدح نفسه ، فقال الفرزدق :

أنا القطران والشعراء جربى وفي القطران للشعراء جربى

وقال الأخطل :

فإن تلكُ زقّ زاملة فإنّي أنا الطاعون ليس له دواء

وقال جرير :

أنا الموت الذي آتي عليكم فليس لهاربه مني نجاء

فقال عبد الملك : لعمري إنّ الموت يأتي على كلّ شيء ، ومضى بالأعطية لجرير.

فكان مجلس عبد الملك أشبه بمنتدى أدبي ومدرسة خاصّة للشعر والنقد ، كما كان يتمتع بملكة نقدية تجعله يأخذ على الشعراء بعض المآخذ، فأخذ عليهم عدم التجديد في تشبيهاتهم ، ومجافاة كلامهم لمقتضى الحال ، فعندما سمع قول ذي الرمة : ما بال عينك منها الماء ينسكب " غضب عليه ، حتّى عاد فقال : ما بال عيني منها الماء ينسكب. كما عاب عليه نبوّ الذوق وكذبهم في الشعر ، فدخل عليه أرطأة بن سهيّة الشاعر، فاستنشده مما كان يناقض به شبيب بن البرصاء ، بقوله :

أبي كان خيرا من أبيك ولم تزل جنيبا لآباني وأنت جنيب

فقال له عبد الملك : كذبت ، شبيب خير منك أبا .

ولم يقتصر النقد في الشام على عبد الملك ، بل كان هشام بن عبد الملك ، وسليمان بن عبد الملك مجالس خاصة تؤمها الشعراء ، ويأخذون عليهم بعض المآخذ الشعرية ، ويوجهون معاني الشعراء كما كان للخليفة عمر بن عبد العزيز دور في

توجيه حركة النقد ، فتأتيه الشعراء ، ويستنشدهم ، فكان بمثابة الموجه لهم ، ففي عهده يرى شيوع الشرائب ، فيبعث برسالة إلى الأنصار ينهاهم عن الخمر ، ويقول : فمن يطع منكم فهو خير له ، ومن يخالف نعاقبه على العلانية ، فإنّ الله على كلّ شيء رقيب ، ومن استخفى بذلك عنّا فإنّ الله أشدّ بأسا وأشدّ تنكيلا.لذلك دعا إلى أن يكون الشعر والنقد في عهده ذا بعد اجتماعي ، فيكون الشاعر اللسان المعبر عن مطالب الفقراء ، ومن ذلك ما يروى أن نصيب بن رباح استأذن عليه ، فلم يأذن له ، فقال : أعلموا أمير المؤمنين أني قلت شعرا أوّله الحمد لله ، فأذن له ، فقال :

الحمد لله أمّا بعد يا عمر فقد أتتنا بك الحاجات والقدر

فأنت رأس قريش وابن سيّدها والرأس يكون فيه السمع والبصر

فكان موقفه مع الشعراء موقف الموجه ، فينهاهم عن شعر الغزل والمدح الكاذب ، ويدعوهم إلى الفضائل والأخلاق الحميدة.

المحاضرة الرابعة

النقد في القرن الثاني الهجري:

بدأ النقد في القرن الثاني يتّجه اتّجاها علميا منهجيا ، إذ أصبح النقاد يحكمون على الشعر من خلال قضايا نقدية وأسس نقدية متّفق عليها في عصرهم حتى أصبح يطلق على النقد في هذه الحقبة بالنقد المنهجي الذي يسير على أسس علمية وذلك نظرا للتحولات التي طرأت على المجتمع العباسي كالتأثر بالثقافات الأجنبية والاختلاط بغير العرب ، وازدهار حركة الترجمة نتيجة لذلك تحول الناقد إلى ناقد مثقف ثقافة عالية ، وقد برز بعض الاتجاهات في هذا العصر منها :

١- **قيام بعض العلماء بحفظ الشعر وتدوينه وروايته** فجمعوا الكثير من أشعار الجاهليين والإسلاميين كما جمعوا ما نقل إلى العربية من أقوال الأمم الأخرى كاليونان والهنود والفرس ، ومن هؤلاء : قتادة بن دعامة ١١٧ وأبو عمرو بن العلاء ١٥٤ وأبو عبيدة معمر بن المثنى ٢٠٩ والأصمعي ٢١٤ وأبو زيد الأنصاري ٢١٥

٢- ظهور عدد من اللغويين والرواة والنحاة ممن أسهموا أيضا في جمع الشعر وتدوينه ومن هؤلاء الرواة : حماد الراوية ١٥٦والمفضل الضبي ١٧١ وخلف الأحمر ١٨٠ وأبو عمرو الشيباني ٢٠٦ ومن اللغويين والنحاة : يحيى بن يعمر البصري وعنبسة الفيل وعبدالله بن إسحاق الحضرمي فكانت حركة النقد في هذا العصر قائمة على نشاط اللغويين والنحويين والرواة ، وقد ظهر ذلك في اتّجاهين ، أحدهما كان امتدادا للنقد الجاهلي والإسلامي فجمعوا أشعار الجاهليين والإسلاميين وضبطوا أشعارهم ونقّحوها وأبدوا فيها رأيهم ، فأبو عمرو بن العلاء مثلا كان يشبه الأخطل بالنابغة لصحة شعره وحماد الراوية كان يفضل الأخطل على جرير والفرزدق . أمّا الاتجاه الثاني ، فهو الاتجاه العلمي في النقد تمثل في جمع الحجج التي أدلى بها أنصار كل شاعر في تقديمه وتفضيله كما تمثل في وضع المؤلفات والكتب التي تكشف عن طبيعة النقد في هذا العصر ونهجوا في مؤلفاتهم منهجا تاريخيا فرتبوا الشعراء في طبقات ، وذكروا طرفا من حياتهم وكان من أقدم ما وصل إلينا في هذا الاتجاه : جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي ، وطبقات فحول الشعراء لابن سلاّم الجمحي .

طبقات فحول الشعراء :وهو من أقدم ما وصل إلينا في الطبقات الشعرية ، وألفه أبو عبدالله محمد بن سلام الجمحي البصري ، ولد سنة ١٥٠ وتوفي ٢٣٢ أخذ عن علماء البصرة فأكسبه ذلك معرفة واسعة باللغة والنحو والأدب

منهج الطبقات : قسم ابن سلام كتابه إلى خمسة أقسام هي : المقدمة ، طبقات الشعراء الجاهليين ، شعراء المراثي ، شعراء القرى العربية ، طبقات الشعراء الإسلاميين ، وقد سار في تصنيفه للشعراء في طبقات على المنهج التاريخي فوظف عناصر هذا المنهج في طبقات الشعراء فقسمهم حسب أزمانهم إلى جاهليين ومخضرمين وإسلاميين ، ووضع في كل طبقة أربعة

شعراء وجعلهم في عشر طبقات فكانوا أربعين شاعرا ، ذكر أخبارهم وألقابهم ومنزلتهم الأدبية متّخذا من الكم الشعري أساسا في تصنيفهم مما أوقعه في بعض الأخطاء في طبقات الشعراء. كما تحدث في طبقاته عن شعراء القرى العربية أي : شعراء المدينة ومكّة والطائف والبحرين وشعراء يهود المدينة ، وقد أغفل شعراء النصرانية على كثرتهم ، وعند حديثه عن شعراء الطبقات نراه يورد طرفا من حياة الشاعر وشعره مع الإلمام بما قيل عنه قديما وحديثا ، يقول : (ففصلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام والمخضرمين فنزلناهم منازلهم واحتججنا لكل شاعر بما وجدناه له من حجة وما قال فيه العلماء .)

وعند حديثه عن شعراء القرى العربية نراه يعلل كثرة الشعر وقلته عند بعض القبائل بكثرة الحروب والغارات ، يقول : وإنما يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين الأحياء نحو حرب الأوس والخزرج أو قوم يغيرون ويغار عليهم والذي قلل شعر قريش أنه لم يكن بينهم ثائرة ، ولم يحاربوا .)

الانتحال في الشعر : ويعد ابن سلام الجمحي من أوائل من أشار إلى فكرة الشعر المصنوع الذي ينسب إلى الجاهليين وليس لهم مع أن بعض معاصريه كخلف الأحمر والمفضل الضبي قد سبقوه إليها إلا أن ابن سلام فصل فيها وذكر أسباب هذه القضية وحصرها في أربعة أسباب : ١- **ما أثر تاريخيا من انتحال بعض الرواة للشعر وإدخاله في أشعار الجاهليين والمخضرمين أو نسبته إليهم** وذلك ما رواه ابن سلام عن أبي عبيدة من أن داود بن متمم بن نويرة كان يفتعل الشعر ويزيده في أشعار أبيه متمم ، وكذلك فعل حماد الراوية الذي عرف بكثرة انتحاله للشعر

٢- **أصحاب المغازي والسير** ، وعلى رأس هؤلاء محمد بن إسحاق الذي أفسد الشعر وهجّنه وحمل كل غثاء ذلك لأنه أورد في سيرته أشعار لرجال لم يقولوا شعرا قط ونساء لم يقلن شعرا قط ، ثم جاوز ذلك إلى عاد وثمود

٣- **العصبيات القبلية** : حيث قلت أشعار بعض القبائل العربية لموت أو قتل حملة هذه الأشعار ، فكانت كل قبيلة تحرص على أن يكون لها شعرا يفوق شعر غيرها من القبائل مما حدا بهم إلى انتحال الأشعار يقول : (فلما راجعت العرب رواية الشعر وذكر أيامها ومآثرها استغل بعض الشعراء شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم وكان قوم قلت وقائعهم وأشعارهم وأرادوا وأرادوا أن يلحقوا بمن لهم الوقائع والأشعار فقالوا على ألسن شعرائهم)

٤- **انشغال الناس بالحروب وغزو فارس والروم :** يروي ابن سلام قول عمر بن الخطاب في ذلك : (كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب وتشاغلوا بالجهاد وغزوا فارس والروم ولهيت عن الشعر وروايته فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوح واطمأنت العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر فلم يئلوا إلى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل ، فحفظوا أقل ذلك وذهب عنهم أكثره .) كما يروي ابن سلام قول أبي عمرو بن العلاء : ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير.)

وقد ذكر ابن سلام أمثلة شعرية تؤيد ما ذهب إليه في أسباب الانتحال في الشعر الجاهلي . كما روى لأبي سفيان الحرث قوله في حسان

أبوك أبو سوء وخالك مثله ولست بخير من أبيك وخالكا

وإن أحق الناس ألا تلومه على اللؤم من ألفى أباه كذلكا

فعقب عليه بقوله : وأخبرني أهل العلم أن قدامة بن موسى بن عمر الجمحي قالها ونحلها أبا سفيان وقريش تزيد في أشعارها تريد بذلك الأنصار والرد على حسان .

المحاضرة الخامسة

الأوّليّة الشعرية:

وهي من القضايا التي تناولها ابن سلام في مقدمة كتابه ، ونعني بها بدايات الشعر العربي ، أو أوّل من قال قصيدة أو بيتا شعريا ، وقد اختلف القدماء في موقفهم من هذه القضية ، فمن قائل إنها بدأت بعاد وثمود ، وآخرون يرون بأنها بدأت بعزيف الجن ، وبعضهم يرى أنها بدأت بالحداء العربي ، ولكنّ ابن سلام الجمحي بأنها لم تبدأ بعاد وثمود ، وقد استدلّ على ذلك بأدلة عقلية ، ونقلية ، منها :

١- لا يعقل أن تكون قد بدأت بعاد وثمود ، لأنّ الله سبحانه وتعالى قد أكّد بقوله " وأنّه أهلك عادا الأولى ، وثمود فما أبقى " وقال في عاد " فهل ترى لهم من باقية " وقوله تعالى " وعادا وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله" وبهذا يرد ابن سلاّم على ابن إسحاق الذي أفسد الشعر وهجّنه ، ويذكر ابن إسحاق لعاد وثمود ، فيقول ابن سلاّم : من حمل هذا الشعر ومن أدّاه منذ ألوف من السنين ؟

٢- إنّ أوّل من تكلم العربية ، ونسي لسان أبيه إسماعيل بن إبراهيم ، وإسماعيل كان بعد عاد ، فكيف لعاد وثمود أن تروي شعرا في اللغة العربية ؟ والعربية لم تكن موجودة في عهد عاد .

٣- إنّ عادا من اليمن ، ولليمانيين لسان آخر غير اللسان العربي ، وقد استدلّ بذلك من قول أبي عمرو بن العلاء : ما لسان حمير وأقاصي اليمن بلساننا ، ولا عربيّتهم بعربيّتنا "

٤- لقد استمدّ ابن سلام الدليل الرابع من تاريخ الشعر العربي بقوله : ولم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حادثة أو حاجته ، وإنّما قصّدت القصائد ، وطُوّل الشعر على عهد عبد المطلب ، وهاشم بن عبد مناف ، وذلك يدلّ على إسقاط شعر عاد وثمود وحمير وتبّع .

قضايا نقدية أخرى :

١- **ثقافة الناقد** : تكلم ابن سلاّم في مقدمته على ثقافة الناقد ، فبيّن أنّ الناقد يحتاج إلى معايشة الأدب وكثرة مدارسته لأنّ ذلك يعينه على العلم بالأدب والشعر ، يقول : وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر الصناعات ، والصناعات منها ما تثقفه العين أو الأذن أو اليد أو اللسان ، فالياقوت لا يعرف بوزن ولا صفة دون المعاينة " وهكذا يكون الحكم على جيد الشعر ورديئه ، فيحتاج إلى تمرّس بالأدب ومخالطة له حتى يصبح بصيرا بأموره ، ومدركا ، وقادرا على التمييز بين القوي والضعيف . وقد استدلّ على ذلك من قول خلف الأحمر : إذا أخذت أنت درهما فاستحسنته ، فقال لك الصرّاف إنّه رديء هل ينفعك استحسانك له .

٢- **نشأة الشعر وتنقّله** : يرى أن الشعر الجاهلي بدأ في قبيلة ربيعة وكان أول شعرائها المهلهل والمرقشان وطرفة ، والمتلمس والحارث بن حلّزة والأعشى والمسيب ثم تحوّل في قيس فمنهم النابغة وزهير وابن كعب ولبيد والحطيئة والشمّاخ .

٣- **طبائع الشعراء** : التفت ابن سلاّم إلى اختلاف طبائع الشعراء وأخلاقهم ، فمن الشعراء من كان يتنسك ويتعبد ويتعفف في شعره في الجاهلية ولا يفتخر من الأقوال والأفعال ولا يتهكّم ، ومنهم من كان ينعى نفسه ، ويشهرها لتعاطيه الفواحش ويفخر ، يقول " وكان من الشعراء من يتأله في جاهليّته ويتعفف في شعره ، ومنهم من كان ينعى نفسه ويتعمّر كامرئ القيس ، والأعشى ، وكان جرير مع إفراطه في الهجاء يعفّ عن ذكر النساء ولا يشبب إلا في امرأة يملكها .

٤- **التاريخ لبعض علوم العربية** : تحدث في مقدمته عن التاريخ لنشأة علمي النحو والعروض ، فيذكر أن لأهل البصرة أسبقية في النحو وكان لهم عناية بلغات العرب والغريب وأول من أسس العربية أبو الأسود الدؤلي وقد فعل ذلك حين اضطرب

كلام العرب ، فغلبت السليقية وكان الناس يلحنون فوضع باب الفاعل والمفعول ، كما تعرض ابن سلام لوجوه القراءات واختلافه اللهجات ، وتحدث عن نشأة علم العروض الذي كان للخليل بن أحمد الفضل في وضع هذا العلم وقواعده .

بعد أن انتهينا من عرض للقضايا النقدية لا بدّ أن نقف على بعض المآخذ الذي أخذها الدارسون على منهج ابن سلام في الطبقات ، منها : ١- أنه ينقصه الترتيب والتنظيم فأغفل في طبقاته كبار شعراء الإسلام ، كالكميت والطرمّاح وعمر بن أبي ربيعة .

٢- وقع في بعض الخلط والتشويش في ترتيبه للطبقات فنراه يقدم من لا يستحقّ التقديم ، ويؤخر من يستحق التقديم دون أن يبدي أسبابا لذلك فوضع في الطبقة السادسة عمرو بن كلثوم والحارث بن حلّزة وعنترة وسويد ، على حين وضع في الطبقة الخامسة من دونهم شهرة ومنزلة ، من أمثال : خداش بن زهير والمخبل بن ربيعة والأسود بن يعفر وتميم بن أبي مقبل ، وكذلك فعل في طبقات الإسلاميين

٣- لم يتعرّض لمكانة شعراء القرى العربية فاكتفى بنسبهم وبعض أشعارهم كما مرّ مرورا عابرا بحسّن بن ثابت ، دون أن يشير إلى منزلته الأدبية ، وفي بعض الطبقات اكتفى بسرد أسماء الشعراء دون أن يورد عنهم خبرا أو يذكر لهم شعرا .

٤- اقتصر في طبقاته على الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين ولم يعرض لمعاصريه من شعراء القرن الثاني كأبي نواس وبشار ومسلم وأبي العتاهية ، وغيرهم .

٥-تحدّث وترجم للشعراء اليهود ولم يترجم لشعراء النصرانية مع أنته أكثر شعرا وعددا من شعراء اليهود وهذا ما يؤكد أن ابن سلام لم يلتزم بما تحدث فيه في مقدمة طبقاته عن منهجه التاريخي من حيث الزمان والمكان والبيئة .

المحاضرة السادسة

الجاحظ :

هو من نقاد القرن الثالث الهجري ، توفي (٢٥٥) أبو عثمان عمرو بن بحر البصري له باع طويل في الحركة النقدية في العصر العباسي ، وقد استفاد الجاحظ بذلك من بيئة البصرة التي عاش فيها فكانت مركزا تجاريا وحضاريا ولغويا فتتلمذ على علمائها كأبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري وأخذ النحو عن الأخفش كما كان لمعرفته بعلم الكلام وتتلمذه على يد النظام أثر في صقل شخصيته فهو صاحب فرقة دينية تسمى الجاحظية معتزلي وقد عدّه الدارسون مؤسسا لعلم البلاغة فهو صاحب مدرسة بلاغية تتلمذ على يديه الكثير من علماء البلاغة كالعسكري وابن سنان الخفاجي وله موسوعات أدبية كثيرة كالبيان والتبيين ، والحيوان والبخلاء وله ما يقرب من ٣٦٠ مؤلف .

القضايا النقدية عند الجاحظ :

١- اللفظ والمعنى : وهي قضية ظهرت في القرن الثاني الهجري لأسباب دينية وسياسية على أيدي المعتزلة ، وقد انقسم الناس حولها إلى فئتين : أولاها تؤيد الفصل بين اللفظ والمعنى ، ومنهم الجاحظ وتلاميذه وثانيها ترى أن اللفظ والمعنى لا يجوز الفصل بينهما فهما وجهان لعملة واحدة ومن هؤلاء عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز ، أما موقف الجاحظ فكان من أوائل الذين بحثوا هذه القضية وذلك في مقولته المشهورة : المعاني مطروحة في الطريق إنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ ، ويرى الجاحظ أن أحسن الكلام ما كان معناه في ظاهر لفظه وهذا لا يتم إلا عن طريق المزاوجة بين المعنى الشريف واللفظ البليغ ، يقول : وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيرة ومعناه في ظاهر لفظه فإذا كان

المعنى شريفا واللفظ بليغا وكان صحيح الطبع منزها عن الاختلال صنع في القلوب صنع الغيث في التربة الكريمة) ويرى أيضا أن الأدب لا يكون في المعنى وحده لأنّ المعاني في متناول الجميع وإنما الأسلوب القوي هو الذي يجلوه ويحدث تأثيره في النفوس ، **يقول :** فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير) ولا يفهم من ذلك أن الجاحظ ينكر المعاني وشأنها في بلاغة القول فنراه ينوه بألوان المعاني الغريبة والبديعة المخترعة ويبين كيف يتنازعها الشعراء كما اهتدى الجاحظ عند حديثه عن اللفظ والمعنى أن لكل فنّ من القول ولكل أديب معجمه اللغوي الخاص ، يقول : ولكل قوم ألفاظ حظيت عندهم وكذلك كل بليغ وكل شاعر وصاحب كلام موزون فلا بد أن يكون قد ألف ألفاظا بأعيانها ليديرها في كلامه .)

٢- **النظم :**وقد استعمل الجاحظ هذا المصطلح في كتاباته فكان بمعنى التأليف والإنشاء وخاصة في حديثه عن الشعر ، عندما قال : الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير . كما استخدم الجاحظ هذا المصطلح عندما تحدث عن إعجاز القرآن الكريم فبين أنه معجز بالنظم ، يقول : إن الرسول تحدى البلغاء والخطباء والشعراء بنظم القرآن وتأليفه . ويقول إن الله صرف نفوس العرب عن المعارضة للقرآن بعد أن تحدّاهم بنظمه . ويقول : وفي كتابنا المنزل الذي يدلنا على أنه صدق نظمه البديع الذي لا يقدر على مثله العباد .)

٣- **مطابقة الكلام لمقتضى الحال :** يعد الجاحظ من أوائل من أشار إلى هذه القضية ، يقول : حقّ المعنى أن يكون الاسم له طبقا ، وتلك الحال له وفقا ومدار الأمر على إفهام كل قوم بقدر طاقتهم . ومن مطابقة الكلام عنده وجوب تحري الموضوع واختيار ما يلائمه من الألفاظ ، يقول : ولكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ ولكل نوع من المعاني نوع من الأسماء فالسخيف للسخيف والجزل للجزل ... وقد ذهب الجاحظ في ذلك إلى جواز اللحن ومجانبة الإعراب إذا اقتضى الأمر ذلك فيقول : إنّ الإعراب يفسد نوادر المولدين كما أن اللحن يفسد كلام الأعراب لأنّ سامع ذلك الكلام إنما أعجبته تلك الصورة وذلك المخرج وتلك العادة فإذا دخلت على هذا الأمر الذي أضحكك بسخفه انقلب المعنى مع انقلاب لفظه . ويقول : ومتى سمعت (حفظك الله) بنادرة من كلام العرب فإياك أن تحكيها إلا مع إعرابها ومخارج ألفاظها فإنّك إن غيرتها بأن تلحن في إعرابها خرجت من تلك الحكاية ، وكذلك إذا سمعت بنادرة من نوادر العوام فإياك وأن تستعمل فيها الإعراب أو تتخير لها لفظا حسنا فإن ذلك يفسد الإمتاع ويخرجها من صورتها .

٤- **السرقات الشعرية :**وقد سمّاها بأخذ الشعراء بعضهم معاني بعض ، يقول : ولا يعلم في الأرض شاعر تقدم في تشبيه مصيب تام وفي معنى عجيب غريب أو في معنى شريف أو بديع مخترع إلا وكل من جاء من بعده أو معه إن هو لم يعدُ على لفظه فيسرق بعضه أو يدّعيه بأسره ويجعل نفسه شريكا فيه كالمعنى تتنازعه الشعراء فتختلف ألفاظهم ولا يكون أحد منهم أحق بذلك المعنى من صاحبه) ولذلك يقرر الجاحظ بأن السرقة لا تكون في مطلق المعنى وإنما في المعنى الغريب العجيب أو الشريف الكريم أو البديع المخترع ، كما يقرر بأنها تكون بأخذ معاصر من معاصر أو بأخذ متأخر من متقدم وأن الأخذ قد يكون بسرقة بعض اللفظ أو ادّعائه بأسره وأن المعاني المشتركة يصعب فيها تحديد الآخذ والمأخوذ منه بدعوى كل شاعر بأن المعنى خطر على باله من غير سماع وأن المعنى الذي يتحاماه الشعراء هو المعنى البديع المخترع لصعوبة إخفائه .

٥- **فصاحة الكلمة وفصاحة الكلام** :يعدّ الجاحظ من أوائل من تعرض لهذه القضية ، وهو من أنصار الفصاحة إذ يشترط في اللفظة الفصيحة ألا تكون عامية ولا ساقطة ولا سوقية ولا بدوية ولا متقاربة المخارج ولا متكررة الحروف لأن ذلك يؤدي إلى عدم إفهام المعنى ، يقول : ومن ألفاظ العرب ألفاظ تتنافر وإن كانت مجموعة في بيت شعر لم يستطع المنشد إنشادها كقول الشاعر :

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

- ويرى الجاحظ أن أجود ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج فتعلم بذلك أنه أفرغ إفراغا واحد وسبك سبكا واحدا فهو يجري على اللسان كما يجري على الدهان . كما أشار الجاحظ إلى شروط اللفظة الفصيحة أن تكون مألوفة غير غريبة فالمتأفأة والقرقرة من الألفاظ الغريبة المستهجنة والمغربون قوم مدخولون في عقولهم إذ كانوا من غير الأعراب وبذلك يقول الجاحظ مبينا رأيه في الغريب والتكلف (وكما لا ينبغي أن يكون اللفظ عاميا وساقطا سوقيا فكذلك لا ينبغي أن يكون غريبا وحشيا إلا أن يكون المتكلم بدويا أعرابيا فإن الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس كما يفهم السوقي رطانة السوقي) ومن هنا فإن فصاحة الكلمة هي في تآلف أصوات حروفها أما فصاحة الكلام فهي في بعده عن الغرابة وتلاحم أجزائه وشدّة تلاحمه.

المحاضرة السابعة

٦-**الجاحظ والبيان** :يعدّ الجاحظ من أوائل النقاد والبلاغيين الذين اهتموا بالبيان العربي ، فأفرد له كتابا خاصا سمّاه البيان والتبيين ، ويقع في أربعة أجزاء أفرد الجزء الأول بابا خاصا للبيان عرفه : الفهم والإفهام أو الوضوح والإيضاح ، يقول (فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع) ويعرفه البيان (والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب دون الضمير) كما جعله مرادفا للبلاغة عندما تحدث عما في البلاغة المشوبة بالتكلف من لائمة ومذمة ، وقد أطال الحديث في هذا الباب فتحدث عن آليات البيان وأدواته جعلها في خمسة أصناف هي : اللفظ والإشارة والعقد والخط والحال التي تسمى نصبه ، كما تعرض لبعض مباحث البيان من تشبيه واستعارة وكناية وغيرها ، فالتشبيه مثلا قد عرض له في كتابه الحيوان فتحدث عن التشبيه الحسن والقبيح ، وكان يعلق على بعض الأبيات الشعرية ويبدي رأيه فيها فأشار إلى استحسان البلاغيين لتشبيه شيئين بشيئين كما في قول امرئ القيس :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي

- كما تعرض للمجاز وتحدث عن المجاز العقلي والمجاز المرسل والاستعارة وحاول أن يضع تعريفا لهذه المصطلحات من خلال وقوفه عند بعض الأبيات الشعرية كما في قول الشاعر :

وطفقت سحابة تغشاها تبكي على عراصها عيناها

فيعلق قائلا : وطفقت : يعني ظلت تبكي على عراصها عيناها فجعل المطر بكاء من السحاب ، وهذا المعنى لم تألفه العرب بعد فهو على سبيل الاستعارة وتسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه ، كما وقف عند الكناية فيقول : وقال بعض العنود : ومن البصر بالحجة والمعرفة لمواضع الفرصة أن تدع الإفصاح بها عن الكناية عنها إذا كان الإفصاح أوعر طريقة) كما نراه يعرف الإيجاز بأنه :الجمع للمعاني الكثيرة لألفاظ قليلة .

٧- **الجاحظ والبديع** : اهتم الجاحظ بالبديع وذلك لأثره في الارتفاع بقيمة الأسلوب الفنية والتعبيرية ، ويقصر البديع على العرب فيقول : البديع مقصور على العرب ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة) ويؤرخ لمذهب البديع في الشعر ولمن أجادوا

فيه من المحدثين والمولدين ، فبشار عنده هو إمام مذهب البديع ، ومن المولدين منصور النمري ، كما وقف عند بعض القضايا البديعية فحاول أن يضع لها تعريفا ، فالسجع مثلا له تأثيره في النفوس . وتحدث عمن يؤثرونه على المنثور كعبد الصمد الرقاشي ويقف عند رأي الرسول (ص) الذي نهى عنه فيقول الجاحظ : وكان الذي كرّه الأسجاع في عينها وإن كانت دون الشعر في التكلف أن كهان العرب الذين كان أكثر الجاهلية يتحاكمون إليهم ويدعون الكهانة ويحتكون بالأسجاع) كما يرد الجاحظ على من يزعم أن بعض القرآن وأحاديث الرسول شعر عند وقوفه على قوله تعالى (تبت يدا أبي لهب وتب) التي طعنوا فيها بأنها شعر على وزن (مستفعل مفاعلن)

– فيرد عليهم بقوله : اعلم أنك لو اعترضت أحاديث الناس وخطبهم لوجدت فيها مثل (مستفعل مستفعل) كثيرا كما وقف عند بعض صور البديع كالمزدوج أو المزاوجة والمذهب الكلامي والتقسيم الذي نوه بجودته وعلل استحسان عمر بن الخطاب لشعر زهير الذي يقول فيه :

وإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نِفار أو جلاء

– كما وقف عند الاقتباس الذي يقوم على تضمين المتكلم كلامه كلمة من آية أو آية من كتاب الله ، وقد أشار الجاحظ إلى اقتباس الخطباء لكثير من آي الذكر الحكيم ، ولا يكرهونه في الرسائل إلا أن تكون إلى الخلفاء ، ثم وقف الجاحظ أيضا عند أسلوب الحكيم وهو تلقي المخاطب بغير ما يترقبه إما لترك سؤاله والإجابة عن سؤال لم يسأله ، وإما بحمل كلامه على غير ما كان يقصد . وقد سمّاه (اللغز في الجواب) وعقد له بابا خاصا وأورد فيه كثيرا من الأمثلة .

٨- **رأي الجاحظ في الشعر** :يرى الجاحظ أن الشعر صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير ، وقد أبدى رأيه في أنواع الشعر كلها فتراه يتحدث عن الشعر الوسط فيؤثره مرة ويذمه أخرى لذلك يبين أن الشاعر الوسط عليه ألا يسرف في تنقيح الألفاظ وتهذيبها ولا يعنّي نفسه بالغوص وراء غرائب المعنى ، أو عن رأيه عن شعر العرب والمولدين فعنده أن عامة العرب في مجموعهم أشعر من عامة الشعراء المولدين في مجموعهم يقول : والقضية التي لا أحتشم منها أن عامة العرب والأعراب والبدو والحضر من سائر العرب أشعر من شعراء الأمصار والقرى من المولدة والنافية)كما يفرق الجاحظ بين المولد والأعرابي من جهة جودة الشعر ويقرر أن المولد يلحق بالأعرابي في الأبيات لا في القصائد الطوال ويدعو إلى النظر ببصر وروية إلى أشعار المولدين كما وقف المطبوعين من المولدين يقول : والمطبوعون على الشعر من المولدين : بشار والحميري وأبو العتاهية وابن عيينة ،وقد ذكر الناس في هذا الباب : يحيى بن نوفل وسلما الخاسر أولى بالطبع من هؤلاء وبشار أطبعهم كلهم) ولكنه ينقد بشارا ويأخذ عليه مناظرته لحماد عجرد في الشعر، كما يقف عند أبي نواس ويقرر أنه لا يعرف بعد بشار أشعر من أبي نواس ولكنه يعيب عليه الغلو الذي تمادى فيه إلى حدّ الكفر كما في قوله :

كيف لا يدنيك من أمل من رسول الله من نفره

فأخذ عليه في قوله (من رسول الله من نفره) بأنه كلام مستهجن في غير موضعه لأن حق رسول الله أن يضاف إليه ولا يضاف إلى غيره ، كما تعقب ما أخذ على أبي نواس من الخطأ في شعره ، كما في قوله عندما وصف عين الأسد بالجحوظ ، وهي توصف عند العرب بالغؤور كما في قوله :

كأنما عينه إذا التهبت بارزة الجفن عين مخنوق

– كما وقف عند بعض النحاة والرواة فيقلل من شأن النحاة ورواة الأخبار في النقد ويعلي عليهم عامة الرواة يقول : ولم أر غاية النحويين إلا كل شعر فيه إعراب ولم أر غاية رواة الأشعار إلا كل شعر فيه غريب أو معنى صعب ، ولم أر غاية رواة الأخبار إلا كل شعر فيه الشاهد والمثل

أبوك أبو سوء وخالك مثله ولست بخير من أبيك وخالكا

وإن أحق الناس ألا تلومه على اللؤم من ألفى أباه كذلكا

فعقب عليه بقوله : وأخبرني أهل العلم أن قدامة بن موسى بن عمر الجمحي قالها ونحلها أبا سفيان وقريش تزيد في أشعارها تريد بذلك الأنصار والرد على حسان .

المحاضرة الثامنة

ابن قتيبة :

هو أبو محمد عبدالله بن مسلم ، ولد في الكوفة سنة ٢١٣ وتوفي سنة٢٧٦، ويعد من أشهر نقاد القرن الثالث الهجري ، ويعرف بأنه ناقد توفيقي ، يوثق بأخباره له العديد من المؤلفات منها : أدب الكاتب والشعر والشعراء ، وستكون وقفتنا مع الشعر والشعراء لأنه يمثل نقلة نقدية نوعية في عصره .

كتاب الشعر والشعراء : يعدّ هذا الكتاب حلقة إضافية في تصنيف الشعراء إلى طبقات حسب المقاييس الخاصة التي اعتمدها ابن قتيبة فكان في طبقاته حلقة مكملة ومميزة عما ذهب إليه ابن سلام الجمحي وقد اشتمل الكتاب على الكثير من القضايا النقدية التي كان له فيها رأيه الخاص ، وقد اعتمد على المنهج التوفيقي في هذه القضايا ومن هذه القضايا :

1– **منهج الشعر والشعراء** : اتّبع ابن قتيبة المنهج التاريخي في تصنيفه للشعراء وقد التزم بهذا المنهج في كل ما تحدث عنه وقد قصر حديثه في هذا الكتاب على الشعراء الذين امتهنوا الشعر وكانوا من المشهورين،يقول : هذا كتاب ألفته في الشعراء أخبرت فيه عن الشعراء وأزمانهم وأقدارهم وأحوالهم وقبائلهم ومن كان يعرف باللقب أو الكنية وعمّا يستحسن من أخبار الرجل ويستجاد من شعره وما أخذته العلماء عليهم من الغلط والخطأ في ألفاظهم ومعانيهم وما سبق إليه العلماء فأخذه عنهم المتأخرون) وتعدّ هذه المقدمة من الأهمية بمكان ومرجعا في تاريخ الأدب والنقد لما أورده فيها من أخبار الشعراء وعصورهم ، كما تعدّ هذه المقدمة سجلا حافلا لسماء الشعراء الذين عرض لهم من الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين والعباسيين ، بلغوا مئتين وستة شعراء ، كما تعرض فيها لمآخذ العلماء على الشعراء في ألفاظهم ومعانيهم ، وذكر في المقدمة المنهج الذي اتّبعه فلجأ إلى المشهورين من الشعراء ولم يترجم للمغمورين لقلة أخبارهم ، يقول : أمّا من خفي اسمه وقلّ ذكره وكسد شعره وكان لا يعرفه إلا بعض الخواص فما أقل من ذكرت في هذه الطبقة إلا القليل لأنّ المغمورين ليس لهم ترجمة ولا أخبار ولصعوبة إحصائهم ، والإحاطة بأخبارهم) كذلك فقد حدد ابن قتيبة في منهجه أنه لم يترجم إلا لمن غلب عليه الشعر ، ولو قصد إلى غير ذلك لكان عليه أن يذكر أكثر الناس لأنه قل أحد له أدنى حظ من أدب وطبع إلا وقد قال من الشعر شيئا ، وقد اعتمد ابن قتيبة في تصنيفه للشعراء على مقياس الجودة الشعرية لذلك كانت طبقات ابن قتيبة مفتوحة ممتدّة غير مغلقة ولم يقصرها على زمن دون آخر فترجم للمشهورين من كل العصور كما أنّه يختلف عن ابن سلام بأنه لم يحصر الشعراء بطبقات رأسية تبدأ بشاعر وتحدد بعدد معين إنما جعلها مفتوحة وذلك مما أعطاه الحرية في ترجمته لكثير من الشعراء بعيدا عن التعصب والهوى

٢- **القدم والحداثة** : لم يكن ابن قتيبة متعصبا للقديم كما كان ابن سلام الجمحي ، ولم يكن ميّالا للحديث لحداثته ولكنه نظر للفريقين بعين العدل فالشعر القديم قد يكون جيدا وقد يكون رديئا ، يقول : ولم أسلك فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختار له سبيل من قلد أو استحسن باستحسان غيره ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه ، وإلى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره بل نظرت بعين العدل على الفريقين وأعطيت كلا حظه ووفرت عليه حقّه) ولم يخضع ابن قتيبة لآراء الآخرين في تصنيفهم للشعراء بل اعتمد على مقاييسه الخاصة به يقول : (فإني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ويرذل الشعر الرصين ولا عيب عنده إلا أنه قيل في زمانه أو أنه رأي قائله)ويبين ابن قتيبة أن الشعر غير مقصور على أمة دون أخرى ولا زمن دون زمن ، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده ، يقول : (وقد كان جرير والفرزدق والأخطل يعدون محدثين ثم صار هؤلاء قدماء عندنا لبعد العهد منهم وكذلك يكون من بعدهم لمن بعدنا كأبي نواس وغيره ، فكل من أتى بحسن أو فعل ذكرناه له ولم يضعه عندنا تأخر قائله أو فاعله ولا حداثة سنّه كما أن الرديء إذا ورد علينا للمتقدم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه) وبذلك يعد ابن قتيبة أول من حاول الارتقاء بالنقد الأدبي إلى طور جديد يكون فيه علما له قواعده وأصوله ، اتّخذ من الموضوعية أساسا للحكم والمفاضلة .

٣- **تنوع الشعر** : ويعني به ابن قتيبة الصياغة الفنية ، فالشعر من حيث صناعته الفنية ليس نوعا واحد وإنما هو أربعة أنواع ، ولذا على الناقد أن يراعي هذا الأصل عند تقديره ونقده لأي نصّ شعري ، يقول : (تدبرت الشعر فوجدته أربعة أضرب

أ- ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه كقول أوس بن حجر :

أيّتها النفس أجملي جزعا إن الذي تحذرين قد وقعا

ب- ضرب منه حسن لفظه وحلا ، فإذا فتّشته لم تجد هناك فائدة في المعنى كقول الشاعر :

ولمّا قضينا من منى كلّ حاجة ومسّح بالأركان من هو ماسح

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطيّ الأباطح

ج- ضرب منه جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه ، كقول لبيد بن ربيعة

ما عاتب المرء الكريم كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح

ويعلق على هذا البيت بقوله : هذا وإن كان جيد المعنى والسبك فإنّه قليل الماء والرونق .)

د- ضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه كقول الأعشى :

وقد غدوت إلى الحانوت يتبعني شاو مشل شلول شلشل شول

المحاضرة التاسعة

٤- **اللفظ و المعنى** : يرى ابن قتيبة ان اللفظ جسمٌ روحه المعنى ومدلول اللفظ عنده يعني النظم و التأليف الممثل في اللفظ المفرد و الوزن والروي، اما مدلول المعنى عنده فيعني الفكرة التي يبين عنها البيت أو الابيات، و قد وضح ذالك في تعليقه على بيتين للمرقش:

هل بالديار أن تجيب صمم لو أن حياً ناطقـا كلم

يأبى الشباب الأقورين ولا تغبط أخاك أن يقال حكم

و يقول ابن قتيبة في تعليقه على هذين البيتين (و العيب عندي من الأصمعي إذا ادخله في متخيره وهو شعرٌ ليس بصحيح الوزن و لا حسن الروي و لا متخير اللفظ و لا لطيف المعنى) اما نعوت الحسن في اللفظ المفرد عنده فيتمثلها عنده في كثرة الماء و الرونق، وحسن المخارج و المطالع و بعدها عن التعقيد و الاستكراه

٥- المتكلف و المطبوع : يعد ابن قتيبة من أوائل النقاد العرب الذين وقفوا عند هذه القضية فوضع لها تعريفا وحدوداً خاصة بها فيعرف المتكلف (بأنه الذي قوما شعره بالثقاف ونقحه بطول التفتيش ، وأعاد فيه النظر بعد النظر كزهير و الحطيئة الذين عرفوا بعبيد الشعر وكان زهير يسمي كبر قصائده بالحوليات) ويقرر ان الشعر المتكلف لا يخفى على ذوي العلم بالشعر يقول (و المتكلف من الشعر وان كان محكماً جيداً ، فليس به خفاءٌ على ذوي العلم لتبينهم ما نزل بصاحبه من طول التفكر وشدة العناء ورشح الجبين و حذفه ما بالمعاني حاجة اليه ، وزيادة ما بالمعاني غنى عنه) و لم يكتفي بهذا الحد بل نراه يتحدث عن مظاهر التكلف : (وتتبين التكلف في الشعر بان تر البيت فيه مقروناً بغير جاره ، ومضموماً الى غيري لفقه، و لذلك قال عمر بن لجأ لبعض الشعراء : انا اشعر منك ، قال وبم ذلك ؟ فقال : لاني أقول البيت و أخاه و انك تقول البيت و أبن عمه)

- أما المطبوع عنده فيعرفه بقوله: (و المطبوع من الشعراء من سمح بالشعر و اقتدر على القوافي ، و اراك في صدر بيته عجزه ، و في فاتحته قافيته و تبينت على شعره رونق الطبعي و وشي الغريزة ، و اذا امتحن لم يتلعثم و لم يتزحر) و يبن ان الشعراء يختلفون في طبائعهم يقول : (و الشعراء مختلفون في الطبعي منهم من يسهل عليه المديح و يعسر عليه الهجاء. و منهم من يتيسر له المراثي و يتعذر عليه الغزل) . و يضرب ابن قتيبة أمثلة لذلك ، فذو الرمة أحسن الناس تشبيهاً و أوصفهم لرمل هاجرةٍ و فلاةٍ و حيةٍ ، فإذا صار إلى المديح و الهجاء خانه الطبع. أما الفرزدق فكان زير نساء وصاحب غزل و مع ذلك لا يجيد التشبيب، و جرير كان عفيفاً و مع ذلك احسن الناس تشبيباً.

٦- الابداع : و يعد ابن قتيبة من أوائل الذين تحدثوا عن هذه القضية ، فكشف عن دواعيها و بواعثها وزمن الإبداع و مكانه و حالة المبدع ، فيحدد البواعث التي تحث على قول الشعر منها (الطمع و الشوق و الشراب و الطرب و الغضب والوفاء). و يفصل في الأوقات التي يختارها الشاعر وتناسبه في قول الشعر يقول : (وللشعر تارات – أوقات – يبعد فيها قريبه ، ويستصعب فيها ربيضة . وكذلك الكلام المنثور في الرسائل و المقامات والأجوبة،

- فقد يتعذر على الكاتب الأديب و على البليغ الخطيب و لا يعرفه لذلك سبب إلا أن يكون من عارض يعترض على الغريزة من سواء غذاء أو خاطر غم)، و قد استشهد على ذلك بقول الفرزدق ربما اتت عليّ ساعة ونزع ضرس اسهل عليّ من قول بيت شعر. كما تحدث عن الأوقات التي يختارها الشاعر لقول الشعر يقول: (ولشعر اوقات يسرع فيها اتيّه ، ويسمح فيها ابيّه: اوائل الليل قبل تغشي الكرى، ومنها صدر النهار قبل الغداء، ومنها شرب الدواء، ومنها الخلوه في الحبس و المسير، ولهذه العلل تختلف اشعار الشاعر). كما أشار إلى الطرائق المختلفة التي يلجأ إليها الناس لاستدعاء شارد الشعر من مثل المياه الجارية و الأماكن العالية و الرياض المعشبة.

٧- عيوب الشعر: تحدث ابن قتيبة عن العيوب و المآخذ التي أخذها العلماء على الشعراء و المتصلة بالوزن و الإعراب و هي الإقواء و الإكفاء و السناد و الإيطاء و الإجازة. أم العيوب في الإعراب فذكر منها ضرورات النظم ، كتسكين المتحرك ، و صرف الممنوع من الصرف و قصر الممدود. كما نبه إلى بعض مالا يجوز للمحدث أن يتبع فيه المتقدم ، وكذلك كاستعمال وحشي الكلام الذي لم يكثر ، واستعمال اللغة القليلة في العرب و إبدال بعض الحروف من بعض كإبدال الياء من الحرف في الكلمة المخفوضة كقول الشاعر:

لها اشاريرٌ من لحمٍ تتمّزه من الثعالي ووخزٌ من أرانيها

كما تحدث ابن قتيبة عن خلود الشعر يقول: ليس كل الشعر يختار و يحفظ على جودة المعنى ، ولكنه يختار و يحفظ لاسباب منها: الاصابة في التشبيه، و منها ان قائله لم يقل غيره، او لان شعره قليل عزيز، ومنها نبل قائله او خفة رويه او غرابة معناه.

٨- بناء القصيدة: تحدث ابن قتيبة عن بناء القصيدة العربية القديمة حيث يعد أول من تحدث عن هذا المصطلح يقول: ان مقصد القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن و الآثار، فبكى و شكا ، و خاطب الربع و استوقف الرفيق، ليجعل ذلك سبب لذكر أهلها الظاعنين عنها انتجاعا للكلأ و تتبعا للماء و مساقط الغيث، ثم وصل ذلك بالنسيب، فشكا شدة الوجد و آلم الفراق، ليميل نحوه القلوب، ويستدعي إصغاء الاسماع اليه، لان التشبيب قريب من النفوس لائط بالقلوب، لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل، و إلف النساء، فليس يكاد احد يخلو من ان يكون متعلقا به بسبب و ضاربا فيه بسهم حلال او حرام ، فإذا علم انه قد استوثق من الإصغاء اليه، عقب بايجاب الحقوق، فرحل في شعره و شكا النصب و السهر، وسرى الليل وحر الهجير ، و أنضاء الرحلة و البعير ، فإذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء ، بدأ في المديح). ويبين ابن قتيبة انه على الشاعر الجيد أن يوازن بين هذه الأقسام وأن يسلك هذه الأساليب ولا يطيل فيمل السامعين وبذلك يرى ان عدم الموازنة بين هذه الأقسام مدعاة للانتقاد فلا يجوز أن يمدح الشاعر بقصيدة طويلة تشبيبها مائة بيت ، ومدحة اخرى تشبيبها عشرة أبيات. و يطالب ابن قتيبة متأخر الشعراء بالتزام هذه الأقسام وعدم الخروج عنها ، يقول : (وليس لمتأخر الشعراء ان يخرج عن مذهب المتقدمين فيقف على منزل عامر لأن المتقدمين وقفوا على المنزل الداثر ، أو يرحل على حمارٍ أو بغلٍ ويصفهما، لأن المتقدمين رحلوا على الناقة و البعير، أو يقطع إلى الممدوح منابت النرجس و الورد ، لأن المتقدمين جروا على منابت الشيح و الحنوة). و بذلك يدعو الشعراء إلى الملاءمة بين الشعر ورح العصر وعلى الشاعر أن يواكب في شعره المعطيات الحضارية في عصره

- و من نقاد القرن الثالث ابن المعتز المتوفى ٢٩٦هـ وله ديوان شعري و ألف العديد من الكتب منها البديع و كتاب طبقات الشعراء ، الا انه لم يضف شيئاً جديداً في طبقات الشعراء ، بينما نراه في كتابه البديع يعد أول من جاء بهذا المصطلح وقد ألفه لرد على بشار و أبي نواس و مسلم بن الوليد الذين قالوا بأنهم هم السابقون إلى هذا الفن ، فرد عليهم بأن جاء بأمثلة من القرآن الكريم و الأحاديث النبوية الشريفة و كلام الصحابة و الأعراب ليثبت من خلالها إنهم لم يسبقوا إلى هذا الفن، كما دعاهم إلى عدم الإسراف فيه لان ذلك مدعاة للانتقاد ومذمة تؤخذ عليهم. كما فصل في أنواع البديع التي ذكرها في مقدمة كتابه التي أوقعته في بعض الخلط فنراه يضع الاستعارة من أنواع البديع.

المحاضرة الحادية عشر

النقد في القرن الرابع الهجري :

بدت ملامح نقدية جديدة تظهر في هذا القرن اتسمت هذه الملامح بالعلمية والموضوعية مما بدا ذلك واضحا على بعض المؤلفات التي ظهرت في هذا القرن ولذلك ظهرت اتجاهات نقدية هي :

١- الصراع حول أبي تمام لخروجه على طريقة العرب وعلى عمود الشعر العربي كما أن أبا تمام قد تعمد الغريب والألفاظ الصعبة في شعره فكان يذكر بعض الأنماط البديعية التي لم يألفها العرب وأسرف فيه إسرافا شديدا فكان النقاد بين مؤيد له ومعارض

٢- الصراع حول المتنبي ، فقد اختلف الصراع حوله عن أبي تمام فجاء الصراع عليه لجملة أسباب تمثلت في ادعائه النبوة وتعظيمه لنفسه وحبه للشهرة وبحثه عن التفوق الفني فأثمر هذا الاتجاه في بعض المؤلفات التي تدافع عن المتنبي وتحاول إنصافه كالوساطة للقاضي الجرجاني

٣- الصراع حول الأثر اليوناني ، إذ نلاحظ أن هذا الأثر قد عظم تأثيره في النقد العربي من خلال كتابي أرسطو في الشعر وفي الخطابة ، وقد تمثل أثر هذا الاتجاه عند قدامة بن جعفر وعند حازم القرطاجني ، حيث ظهرت ملامح يونانية على مؤلفاتهما مثل : نقد لقدامة ، منهج البلغاء لحازم

٤- النقد وفكرة الإعجاز : حيث ظهرت مؤلفات كثيرة في هذا القرن تبحث في سر الإعجاز القرآني ووجوهه المختلفة فظهرت مؤلفات كثيرة تناولت هذا الاتجاه منها : النكت في إعجاز القرآن للرماني ، المتوفى ٣٨٦ ، وبيان إعجاز القرآن للخطابي المتوفى ٣٨٨ ، وثلاث رسائل في إعجاز القرآن للباقلاني المتوفى ٤٠٣ وقد ذكرت هذه المؤلفات وجوها مختلفة للإعجاز القرآني لكنها لم تنل درجة الإقناع عند عبد القاهر الجرجاني المتوفى ٤٧٦ حيث وضع رسالة سماها : الرسالة الشافية في إعجاز القرآن الكريم رد فيها على كل من قال بأن القرآن معجز بغير النظم والتأليف .

الموازنة للآمدي :

هو الحسن بن بشر الآمدي متوفى سنة ٣٧٠ ويسمى كتابه : الموازنة بين الطائيين ، والطائيان هما : أبو تمام والبحتري ، وهما شاعران عباسيان دار حولهما الكثير من الخلاف حول أيّهما أشعر . يمثل أبو تمام منهجا غريبا وجديدا في الشعر العربي ، تمثل في الصنعة والغرابة والخروج على عمود الشعر العربي لذلك وصف بأنه من شعراء التجديد والحداثة ، أما البحتري فهو يمثل الطبع والأصالة والبعد عن الغرابة والالتزام بمقاييس عمود الشعر العربي ، لذلك قيل عنه أنه شاعر مطبوع كثير الماء والرونق . يجري الماء في شعره بسهولة ويسر . ويعد هذا الكتاب نقلة نوعية في تاريخ النقد العربي لأنه ارتفع عن سذاجة النقد القائم على المفاضلة دون تعليل لهذا قيل عنه إنه أول كتاب يتخذ المنهج العلمي سبيلا له في الحكم على الشاعرين فكانت موازنة مدروسة مؤيدة بالتفصيلات التي تلم بالمعاني والألفاظ والموضوعات الشعرية وكان تعبيرا عن المعاناة التي لا تعرف الكلل في استقصاء موضوع الدراسة فقد حدد الآمدي المنهج العام الذي يسير عليه في الموازنة التي اتخذها وسيلة لمحاكمة هذين الشاعرين ، فيقول : وأنا أبتدي بذكر مساوئ هذين الشاعرين لأختم محاسنهما وأذكر طرفا من سرقات أبي تمام وإحالاته وغلطه وساقط شعره ، ومساوئ البحتري في أخذ ما أخذه من أبي تمام وغير ذلك من غلطه في بعض معانيه ، ثم أوزان من شعريهما بين قصيدة وقصيدة إذا اتفقتا في الوزن والقافية وإعراب القافية ، ثم بين معنى ومعنى فإن مما سنهما تظهر في تضاعيف ذلك وتنكشف ، ثم أذكر ما انفرد به كل واحد منهما في معنى سلكه ولم يسلكه صاحبه وأفرد

بابا لما وقع في شعريهما من التشبيه وبابا للأمثال أختم بهما الرسالةُ ثم أتبع ذلك بالاختيار المجرد من شعريهما وأجعله مؤلفا على حروف المعجم ليسهل تناوله ويسهل حفظه .

المحاضرة الثانية عشر

الموازنة للآمدي

عناصر المحاضرة :

- أسس الموازنة.
- لما الموازنة؟
- قضايا نقدية.

أسس الموازنة :

تعود الموازنة في جذورها إلى مرحلة ما قبل التدوين عندما كانت المفاضلات بين الشعراء هي الأساس في الحكم على شاعرية الشاعر ولكنها عند الآمدي قامت على أربعة محاور هي:

١- أخذ معنيين في موضعين متشابهين.

٢- بيان الجيد والرديء مع إيراد العلة.

٣- تبيان الجيد والرديء دون إيراد العلة؛ لأن بعض الجودة والرداءة لا تعلل.

٤- إصدار الحكم بأن هذا أشعر من ذاك في هذا المعنى لأن إطلاق الحكم النهائي العام لا يكون إلا بعد أن يحكم على الشاعرين بأيهما أشعر على الإطلاق.

وعلى الرغم من أن الآمدي قد وضع هذه المعايير وهي معايير توصف بالدقة والموضوعية. إلا أنه عندما جاء إلى التطبيق اختلف منهجه فنراه يقسم الشعر إلى موضوعات كالوقوف على الديار والغزل والمدح والوصف وتحت كل موضوع يذكر أقساماً أخرى.

لم كانت الموازنة؟

- لم كانت الموازنة لتفضيل أحد الشاعرين على الآخر لكانت ذات هدف محدود ولكن الآمدي سعى إلى إجراء مناظرة بين خصمي هذين الشاعرين وكان كل خصم يقدم حجته للدفاع عن التهم الموجهة إليه ولكن الآمدي لم يطلق القول في أيهما أشعر وذلك لقوله: (لتباين الناس في العلم واختلاف مذاهبهم في الشعر...لأن الناس لم يتفقوا على أي الأربعة أشعر في امرئ القيس وزهير والنابغة والأعشى ولا في جرير والفرزدق والأخطل ولا في بشار وأبي نواس وأبي العتاهية.

- وضع الآمدي بعض المواصفات لأبي تمام والبحتري وكان يترك الحكم أحياناً كما يدعي للقارئ فالبحتري عنده أعرابي الشعر مطبوع وعلى مذهب الأوائل وما فارق عمود الشعر وكان يتجنب التعقيد ومستكره الألفاظ ووحشي الكلام أما أبو تمام فكان شديد التكلف صاحب صنعة يستكره الألفاظ وشعره لا يشبه شعر الأوائل ولا على طريقتهم لما فيه من استعارات بعيدة ومعاني مولدة ، كما أن أبا تمام فارق عمود الشعر العربي).

- كان الآمدي يسعى في موازنته لإقرار بعض موازين عمود الشعر العربي خدمة للبحتري وأنصاره لأنه كان يميل لطريقة البحتري التي وصفها بأنها كثيرة الماء والرونق وقد استطاع أن يضع بعض عناصر عمود الشعر العربي وخصوصاً ما يتعلق بملائمة اللفظ للمعنى وملائمة المستعار منه للمستعار له إلى غير ذلك ولكنه لم ينجز مواصفات عمود الشعر العربي كلها إلى

أن جاء القاضي الجرجاني ومن بعده المرزوقي وضعوا سبعة أعمدة لا يجوز للشاعر أن يخرج على أحدها وإلا تسقط عنه المفاضلة الشعرية.

قضايا نقدية :

وقف الآمدي في كتابه عند قضايا نقدية كثيرة كان أشهرها قضية السرقات الشعرية وله فيها أن السرق لا تكون إلا بالمعاني الخاصة ولا تقع في المعاني المشتركة ويرى أن الشعراء إذا كانوا متجاورين فقد تقع بينهما سرقة أما إذا كانوا متباعدين فلا سرقة بينهم فالسرقة عنده ليس ما جرى على الألسن وشاع من المعاني حتى أصبح كالمثل السائر بين الناس، هو يؤمن بتوارد الخواطر. يقول : (إن أهل العلم لم يكونوا يرون سرقات المعاني من كبير مساوى الشعراء وخاصة المتأخرين فهذا باب ما تعرى منه متقدم ولا متأخر).

- كذلك فإن ما كان اتفاقا بين ألفاظ معينة لا يعد سرقا ولهذا نراه يدافع عن البحتري عندما اتهم بالسرق من أبي تمام ولكنه كان يتعقب سرقات أبي تمام وعد له(١٣٠)بيتا أخذ معانيهامن الشعراء.

المحاضرة الثالثة عشر

القاضي الجرجاني :

هو من نقاد القرن الرابع الهجري متوفى سنة ٣٩٢ وله كتاب : الوساطة بين المتنبي وخصومه ، حاول فيه أن ينصف المتنبي وأن يدافع عنه ، فالمتنبي قد ملأ الدنيا وشغل الناس وقد ثارت حوله معارك نقدية كثيرة ، تركزت هذه المعارك في المحاور الآتية :

١- ادّعاء المتنبي للنبوّة . ٢- حبه لذاته وتعظيمه لها ، فكان حريصا على تحقيق ذاته . ٣- المغالطات الشعرية التي وقع فيها وأخذها النقاد عليه . لكن القاضي الجرجاني حاول أن ينصفه فاعتمد على مبدأ الوساطة بين أعداء المتنبي ومحبيه ، فكانت الوساطة منهجا توفيقيا قام على محاولة رأب الصدع فيما سمّاه بالأشباه والنظائر ، إذ كان يقوم الجرجاني بذكر الخطأ الذي وقع فيه المتنبي ثم يقوم بإحضار أخطاء مماثله له عند من سبقه من الشعراء ، ويتساءل عن سبب عدم قيام معارك نقدية حول هؤلاء الشعراء ، وكان مقياس العدالة والتوفيق أساسا للحكم على مثل هذه الأخطاء ، يقول : (الناس حول المتنبي في فئتين ، فئة مطنبة في مدحه والإعلاء من شأنه وفئة تحط من شأنه وقدره الشعري ، وكلا الطرفين إما ظالم لنفسه أو ظالم للأدب) فهو يدعو إلى الوسطية والاعتدال في الأحكام لأنه يعتقد أن ما وقع فيه المتنبي قد وقع فيه غيره من الشعراء

- فالمطنب في تقريظه يعظم من شأن المتنبي ، والعائب له يحطه عن رتبته ومنزلته ويتّبع سقطاته ولذلك نلاحظ أن الجرجاني قد بعض المصطلحات القضائية في الوساطة بين المتنبي وخصومه ، فمنهجه يقوم على : أي الشعراء لم يغلط .

قضايا نقدية : ١- المقايسة أو الأشباه والنظائر ، وهي قضية كان للجرجاني الفضل في إيجادها ، تقوم على إحضار الخطأ الشبيه بأخطاء المتنبي في الشعر والمقابلة بينهما ليبين أن ما وقع فيه المتنبي قد وقع فيه غيره من الشعراء وليثبت أن الخطأ عند الشعراء ليس كفرا ، وأن المعركة حول المتنبي هي معركة شخصية أكثر منها فنيّة .

٢- **الشعر والدين** ، يبين القاضي الجرجاني أن لا علاقة بين الشعر والأخلاق ، أو بين الشعر والدين ، يقول : (فلو كانت الديانة عارا على الشعراء وكان سوء الاعتقاد سببا لتأخر الشاعر لوجب أن يمحى اسم أبي نؤاس من الدواوين ويحذف ذكره

إذا عُدّت الطبقات ولكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية ومن تشهد الأمة عليه بالكفر ولوجب أن يكون كعب بن زهير وابن الزبعرى وأضرابهما ممن تناول الرسول (ص) بالهجاء بكما خرسا والدين بمعزل عن الشعر .

٣- **الإفراط** ،لا يعيب القاضي الجرجاني الإفراط على الشعراء والنقاد مع أنها ظاهرة مشتركة في كل العصور ، يقول : (وإنما نقول إنه عيب مشترك وذنب مقتسم فإنه احتمل فللكل ، وإن رُدّ فعلى الجميع وإنما حظ أبي الطيب فيه حظ واحد من عرض الشعراء وموقعه منه موقع رجل من المحدثين)

٤- **ثقافة الناقد** :يعتقد القاضي الجرجاني أن الناقد يحتاج إلى الرواية والدربة والدراية والفطنة ، أي الموهبة ، أو كما يقول : فإنه يحتاج إلى صحة الطبع وإدمان الرياضة .

٥- **عمود الشعر** : وضع الجرجاني الأسس العامة التي يقوم عليها عمود الشعر ، فحدد أركانه في الأمور الآتية :

١- شرف المعنى وصحته .

٢- جزالة اللفظ واستقامته .

٣- إصابة الوصف .

٤- المقاربة في التشبيه .

٥- الغزارة في البديهة .

٦- كثرة الأمثال السائرة والأبيات الشاردة .

المحاضرة الرابعة عشر

٦- **السرقات الشعرية** : يعد القاضي الجرجاني من أكثر النقاد الذين توسعوا في الحديث عن السرقات الشعرية ، وكان موقفه منها موقفا وسطيا ، يقول : (والسرق داء قديم وعيب عتيق وما زال الشاعر يستعين بخاطر الأخر ويستمد من قريحته ويعتمد على معناه ولفظه وكان أكثره ظاهرا كالتوارد الذي صدرنا بذكره الكلام)ويعتذر عن المتأخرين لأن المتقدمين استغرقوا المعاني ، يقول (ومتى أجهد أحدنا نفسه وأعمل فكره وأتعب خاطره في تحصيل معنى يظنه غريبا مبتدعا ونظم بيت يحسبه مخترعا ثم تصفح عنه الدواوين لم يخطئه أن يجده بعينه أو يجد له مثالا يغض من حسنه **أحظر على نفسي ولا أرى** لغيري بتّ الحكم على شاعر بالسرقة ولهذا ويدافع عن الشاعر المحدث بقوله : (فإن وافق بعض ما قيل أو اجتاز منه بأبعد طرفه قيل : سرق بيت فلان وأغار على قول فلان، ولعل ذلك البيت لم يقرع قط سمعه ولا مرّ بخلده كأن التوارد عندهم ممتنع واتفاق الهواجس غير ممكن .)

- ويرى أن الاهتداء إلى السرقة وكشف مواطنها وصنوفها يحتاج إلى ناقد من جهابذة الكلام ونقاد الشعر الذين يستطيعون لأن يميزوا بين أنواع السرقة كالغصب والإغارة والاختلاس والإلمام والملاحظة ، ولا يرى السرقة في المعاني المشتركة ، مثل التشبيهات المبتذلة كتشبيه الجواد بالغيث ، وقسم المشترك إلى نوعين : نوع عام يعرفه كل إنسان ، ونوع خص بعد تخصيص سبق إليه شاعر قديم كتشبيه آثار الدار بالخط الدارس ثم كثر تداوله حتى لم يعد يرد إلى أصله ، ويعتقد أن كشف السرقات يحتاج إلى حاذق بصير (وهذا باب يحتاج إلى إنعام الفكر وشدّة البحث وحسن النظر والتحرز من الإقدام قبل التبين والحكم إلا بعد الثقة .)

- ويستبشع نسبة السرقة إلى شخص من الناحية الأخلاقية فهو قاض متحرج لا يستطيع أن يصدر حكما إلا إذا توافرت الأدلة ولذلك نراه يقول : قال فلان كذا وقد سبقه إليه فلان فقال كذا)

الطبع والتكلف :وقد بحث في هذه القضية التي سبقه إليها ابن قتيبة ، ولكنه يقول :الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء ثم تكون الدربة مادة له وقوة لكل واحد من أسبابه والطبع عنده هو الموهبة الشعرية ،

ويعزو تفاوت الشعراء إلى اختلاف طبائعهم لاختلاف بيئاتهم ، سواء أكانت هذه البيئة بدوية أو حضرية (وأنت تجد ذلك في أهل عصرك وأبناء زمانك ترى البدوي كز الألفاظ معقد الكلام وعر الخطاب فشعر عدي بن زيد وهو ابن الحاضرة على جاهلية أرق من الفرزدق ابن البادية وهو في الإسلام) ولكنه ينكر أن تكون الغريزة سببا للفصل بين قديم ومحدث وجاهلي ومخضرم ويرى أن الجزالة كانت أغلب على القدماء لعاملين هما الطبيعة والعادة (فلما تحضر العرب طرحوا الألفاظ الخشنة واقتصروا على الألفاظ السلسة وأعانهم على ذلك لين الحضارة وسهولة الطباع فرققوا أشعارهم فصار ما فيها من اللين يظن ضعفا فإذا رام أحدهم العودة إلى المذهب القديم ظهر على شعره التكلف ،)

ويتخذ الجرجاني من أبي تمام مثالا للحضري الذي عاد يحتذي طريقة أهل البداوة فحمل منه على توعير اللفظ فتعسف وتغلل في التصعب . كما يرى أن التفاوت بين شاعر وشاعر في القبيلة الواحدة مرده إلى الطبع بمعنى المزاج وهو سر التفاوت بينهم في الأسلوب والأداء هذا التفاوت أدى إلى اختلاف الموضوعات الشعرية فأسلوب الغزل ليس كأسلوب الفخر .